مفهـــوم الوطنية في الفكـر الإســلامي

- دراســة عقديــة -

. د عبد اللطيف بن عبد القادر بن محمد الحفظي
أستاذ العقيدة والفكر الإسلامي المساعد كلية الشريعة وأصول الدين جامعة الملك خالد

المقـدمـــة:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد

فإن مصطلح «الوطنية من المصطلحات الحادثة التي تحمل فكراً معيناً، ومقتضيات متعددة

وقد تناول بعض المفكرين المسلمين هذا المصطلح على اعتبار أنه من الأفكار الداخلة على الأمة ومن هنا جاء تناولهم لهذا المصلح مركزاً على الجوانب السلبية والتي عاشتها بعض الدول الغربية التي جعلت الوطنية بديلاً عن الدين، وعاشتها بشكل قومي تعصبي ترتب عليه الأنانية المفرطة، والاعتداء على الغير[1].

والحقيقة أن الوطنية كغيرها من المصطلحات التي جعل لها علماء الشرع ميزاناً شرعياً معتدلاً يتمثل في أن كل لفظ مجمل حادث لم يرد دليل شرعي على استعماله فإنه ليس لأحد أن يقول فيه بنفي ولا بإثبات حتى يعرف المراد منه، فإن كان المراد منه حقاً يجلب المصلحة ويدفع المفسدة فإنه يثبت ويؤخذ به، وإن كان المراد منه أمراً باطلاً يجلب المفسدة ولا يحقق مصلحة فإنه يرد ويحذر منه[2].

فينبغي وزن مصطلح الوطنية بهذا الميزان الشرعي العادل لنقف على ما فيه من خير ومصلحة فيدعى إليها وتكون مقررة شرعاً ونقف على ما يمكن أن يحمله هذا المصطلح من شر ناتج عن سوء فهمه، أو عن تقليد غير المسلمين فيه فيرد ويحذر منه

الهدف من البحث:

وقد تقدمت بهذا البحث «مفهوم الوطنية في الفكر الإسلامي دراسة عقدية تحقيقاً لهذا الغرض، وتأكيداً على أن الإسلام بعقيدته وشريعته لا يقف ضد الوطنية الصالحة الأصيلة الممدوحة شرعاً وعقلاً وعادة، بل إن في نصوص الشريعة، وفي اجتهادات علمائها ما يؤكد على تقرير وتبني الوطنية الأصيلة التي لا تعارض الشرع، ولا تجر المفسدة على الوطن والمواطن

وإنما يقف الإسلام وعلماؤه ضد المفهوم الدخيل للوطنية الذي يقف مضاداً للشرع من كل وجهه، والذي جر على أهله مفاسد كثيرة كما سيأتي بيانه إن شاء الله

كما أني أردت من بحث هذا الموضوع أن ننتقل بمصطلح الوطنية من مصطلح هلامي غامض يحمل معاني ودلالات كثيرة قد تكون أحياناً متضادة ومتقابلة إلى مصطلح واضح المعالم، ومحدد المحتوى، من خلال المنظور الشرعي الاعتقادي

وقد أقمت البحث بعد المقدمة على تمهيد، وفصلين، وخاتمة، ثم قائمة بالهوامش، وفهرس للمصادر والمراجع

التمهيد الوطنية فكراً

الفصل الأول المفهوم الأصيل للوطنية وتحته ثلاثة مباحث

المبحث الأول حقيقة المفهوم الأصيل للوطنية

المبحث الثاني دعائم المفهوم الأصيل للوطنية

المبحث الثالث مقومات المفهوم الأصيل للوطنية

الفصل الثاني المفهوم الدخيل للوطنية وتحته ثلاثة مباحث

المبحث الأول نشأة فكرة الوطنية في الغرب

المبحث الثاني انتقال فكرة الوطنية الغربية إلى الأمة الإسلامية

المبحث الثالث ارتباط قيام الوطنية بفصلها عن الدين، وبقطع الولاء عن الأمة

الخاتمة أهم نتائج البحث، وتوصيات الباحث

قائمة بحاشية المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع

التمهيد: الوطنية فكراً:

انتقلت الوطنية من مجرد مشاعر وأحاسيس ونزعات عاطفية فطرية إلى فكر يحمل دلالات معينة، بل وصل عند البعض إلى أيديولوجية عقدية، تتطلب ليس فقط مجرد الإيمان القلبي والمشاعري بهذه الفكرة؛ بل والعمل بما يفرضه هذا المعتقد عملاً استدعى بذل الكثير من الجهد لتحقيقه

يقول الأستاذ وليد النويهض «قبل الوطنية كان الوطن مجرد إقامة في مكان يمكن تركه ويمكن اختيار غيره بإرادة ذاتية عن طريق الهجرة، فالوطن قبل تحوله إلى علاقة أو هوية (وطنية) كان عنوان الإنسان لا هويته، لذلك نسب الإنسان في بداية هجرته إلى قبيلته ثم إلى مكانه، فالمكان كان في المرتبة الثانية والقبيلة في الأولى .، واختلف الأمر لاحقاً حين استقرت الهجرة وتوطن المهاجرون في المدن والأرياف وتوزعوا وتفرقوا في البلدان، فبدأ تغيير النسب (الأصل) بنسبة الإنسان إلى مكانه أولاً وقبيلته ثانياً .، فالعنوان تحول هنا إلى هوية»[3].

يطوي النهويض في كلامه هذا صفحات من الزمن تدرج فيها مفهوم الوطنية من مفهوم يكاد يتلاشى من النفس ولا يلتصق بها إلا حين تجد تلك النفس ما يصلح بدنها من المعيشة إلى أن أصبح هذا المفهوم هوية يتعارف بها الناس

وفي الحقيقة أن مفهوم الوطنية لم يقف عند هذا الحد فحسب، بل وصل إلى درجة من الرسوخ أضحى فيها دافعاً لكثير من الحركات الثورية والحركات الاستعمارية، بل صارت الوطنية ميزاناً ينظر به إلى الغير، وتقوم عليه سائر العلاقات، وارتبطت الوطنية بما يرتضيه المجتمع من أسلوب حياة؛ فإن كان المجتمع متديناً فالوطنية الحقَّة هي جعل تعاليم الدين نصب العينين، وإن لم يكن الدين هو المسيطر على المجتمع، واختار المجتمع بدلاً عنه نظاماً دنيوياً؛ فالوطنية هي المقياس في مراعاة هذا النظام كما هو الحال في الدول غير الإسلامية، وفي الدول المسلمة التي لا تطبق الشريعة الإسلامية[4].

إذاً لم تعد الوطنية مجرد عواطف وولاءات قلبية فحسب، بل أصبحت عقيدة وفكراً تولد عنه سلوك معين يترجم ما تربى عليه أفراد ذلك الوطن المعين وما ملئت به عقولهم من تعاليم تخدم تلك الفكرة والعقيدة

ومن هنا فنحن نتعامل من كيان قائم وفكر مؤصل، تتجاذبه عقول مختلفة، وأهواء متباينة، ومصالح متعددة

ومثل هذا الفكر يحتاج إلى بيان وتوضيح، نقف من خلاله على ما يحمله من حق وخير ومصلحة لنؤيدها ونشد من أزرها ونؤكد على دعمها، وعلى ما قد يُحَمَّله هذا الفكر من مفاسد وأمور خطيرة لا يتحقق معها مصلحة، بل قد تفضي إلى مفاسد أعظم وأخطر؛ الأمر الذي يستوجب الوقوف ضده، والتحذير منه، ببيان عواره وبواره وسوء عاقبته

الفصل الأول

المفهوم الأصيل للوطنية

للوطنية مفهوم أصيل نابع من فطرة فطر عليها كل إنسان، ومؤيد بدستور إلهي شرعي، ومدعم بأمور حياتية عاشها ذلك الفرد في ظل وطنه

وتقرير هذا المفهوم وتأصيله، وتربية عامة المواطنين وخاصتهم عليه بكل وضوح وصراحة هو في الحقيقة صمام أمان لكل وطن؛ يحميه من الأفكار الدخيلة وأنماط السلوك المناهض لوحدته، ويحقق له بقاء أمنه، ودوام رخائه وعزته ومنعته بإذن الله تعالى

بل إن تقرير المفهوم الأصيل للوطنية هو جزء من التربية الإسلامية التي يجب أن يتربى عليها أبناء كل بلد إسلامي

وهذا الفصل يشتمل على ثلاثة مباحث

المبحث الأول حقيقة المفهوم الأصيل للوطنية

المبحث الثاني دعائم المفهوم الأصيل للوطنية

المبحث الثالث مقومات المفهوم الأصيل للوطنية

المبحث الأول: حقيقة المفهوم الأصيل للوطنية:

الوطنية نسبة إلى الوطن والوطن كما في لسان العرب؛[5] «المنزلُ تقيمُ به، وهو موطنُ الإنسان ومحِلُه يقال أوطن فلانٌ أرضَ كذا أي اتخذها مِحلاً ومسكناً يقيم فيها»

وفي القاموس المحيط؛[6] «الوطن، محركة ويسكن منزل الإقامة»

وجاء في كشاف اصطلاحات الفنون؛[7] أن الوطن عند أهل الشرع أنواع

الأول الوطن الأصلي، ويسمى بالأهلي، ويسمى أيضاً بوطن الفطرة والقرار، وهو الذي يكون مولده ومأهله ومنشأه فيه

الثاني وطن الإقامة، ويسمى بوطن السفر، والوطن المستعار، وهو ما خرج إليه بنية الإقامة من غير أن يتخذه مسكناً

الثالث وطن السكن، وهو ما ينوي فيه الإقامة مدةً قصيرة وحدوها بأقل من نصف شهر

وهذا التوسع في تعريف الوطن بذكر أنواعه يترتب عليه التوسع في مفهوم الوطنية والقيام بمقتضياتها، بمعنى أن الإنسان يتفاعل في كل مكان يقيم فيه ولو لمدة يسيرة كما يتفاعل مع وطنه الأصلي الذي هو مقرُ إقامته الدائمة، ويشمل هذا التفاعلُ الشعورَ القلبيَ بحبِ هذا الوطن، وما يظهر من علامات وآثار هذا الحب على أعمال الإنسان وسائر سلوكياته

وقد عرَّف بعض المفكرين الإسلاميين الوطنية المحمودة الممدوحة والمطلوبةَ بتعريفات متنوعة ومتعددة تتناول هذا المفهومَ من سائر جهاته ومقتضياته، وسوف أعرض لأبرز هذه التعريفات لأستخرج دلالاتِها وسعةَ مفهومها

يقول د عبدالرحمن الزنيدي - حفظه+الله: «الوطنية نسبة مؤنثة إلى الوطن مكان استقرار الناس المضاف إليهم، ثم تجاوزت النسبة - مثل كثير من المصطلحات - لتصبح فكرة تحمل منظومة من المبادئ والمقتضيات»[8].

ثم بيّن د الزنيدي حدَّ الوطن الذي حُملت عليه ونُسبت إليه الوطنية فقال « الوطن المحمولةُ عليه الوطنية ليس محصوراً بالوضع الجغرافي المادي مساكن، وشوارع وملاعب، ولكنه يشمل إلى ذلك أناس ذلك الموقع بنفسياتهم والعلاقات العاطفية فيما بينهم، كما يشمل النمطَ الاجتماعي في ذلك الوطن أعرافاً وتقاليد ونظماً حياتية مدونة أو غير مدونة»[9].

ويقول د سليمان الحِقيل في تعريف الوطنية «الوطنية هي تلك العاطفة القوية التي يحس بها المواطنُ نحو وطنه العزيز، وتلك الرابطة الروحية المتينة التي تشده إليه»[10].

ويقول د محمد عماره «أما الوطنية، فهي المشاعر والروابط الفطرية - التي تنمو بالاكتساب - لتشد الإنسان إلى الوطن الذي استوطنه وتوطن فيه»[11].

ومن المفكرين المسلمين [12] من حدد مفهوم الوطنية المحمودة في عدة مسالك هي

1 أن الوطنية هي «حبُ هذه الأرض وألفتُها والحنينُ إليها والانعطافُ نحوها»

2 أن الوطنية هي «تقويةُ الرابطة بين أفراد القطر الواحد، وإرشادِهم إلى طريق استخدام هذه التقوية في مصالحهم».

3 وأن الوطنية هي «العملُ بكل جهد في تحرير البلد من الغاصبين وتوفير استقلاله، وغرس مبادئ العزة والحرية في نفوس أبنائه».

ويدخل مفهوم الوطنية مفهوم المواطنة عند المسلمين وهي «مجموعة العلاقات والروابط والصلات التي تنشأ بين دار الإسلام وكل من يقطن في هذه الدار؛ سواء كانوا مسلمين، أو ذميين، أو مستأمنين؛ أي مجموعة من الحقوق والواجبات التي يتمتع بها كل طرف من أطراف العلاقة»[13].

فالمواطنة سلوك ظاهر يتمثل في مشاركة وأفعال حقيقية - أخذاً وعطاءً تجلّي تلك العاطفة فالمواطنة هي «المشاركة المتساوية يعني مشاركة المواطن في الحقوق والواجبات مع الدولة التي تحكم الوطن ومع بقية أفراد الوطن إذ إن المواطن له ثلاثة أركان لا بد من توفرها فيه هي الانتماء إلى الوطن والمشاركة في بنائه، والمساواة مع غيره من المواطنين والحكّام في كل ما فيه مصلحة عامة

إذاً فالمواطنة هي العمل الظاهر للوطنية والنتيجة الطبيعية لفهمها

ومن خلال بيان مفهوم الوطنية يمكن الخروج بالأمور التالية

1 أن الوطنية التي هي حب الوطن والانعطاف تحته أصيلة وليست دخيلة من سائر الوجوه، وأما الدخيل فيها فهو ما شابها من مسوح الغرب المادي الذي انطلقت وطنيته من شدة التنازع على البقاء، واستمرار الكفاح للحياة، حتى كان حبُ الوطن يتقدم فضائل الأخلاق وسيأتي بيان هذا في الفصل الثاني

وأصالة الوطنية جاءت من أصالة الوطن في لغة العرب واصطلاحاتهم وإطلاقه على القطر المعين وتمييزه عن غيره فحب هذا الوطن وما يترتب على هذا الحب هي حقيقة الوطنية ومفهومها الأساس.

2 أن الوطنية مع كون مفهومها مأخوذ من إضافتها إلى الوطن إلاَّ أنها تعدت هذا المفهوم لتحمل فكراً معيناً يتضمن مبادئ معينة ويستدعي مقتضيات متعددة، وهذه المقتضيات هي ما يمكن تسميتُه بالمواطنة التي تتسع لتشمل مجريات الحياة الممارسة على أرض الوطن؛ إذ هي مجموعة من العلاقات التي تتم بين الفرد ومجتمعه ودولته، وهذه العلاقات تتضمن معاً الحقوق والواجبات التي يتمتعون ويلتزمون بها في الوقت ذاته.

فالمواطنة مفاعلة ومشاركة ولها عدة أطراف هم الوطن والمواطن والمواطن الآخر والعالم من حوله، وهذه الأطراف لكل منهم حق على الآخر يؤدى في انسجام وتآلف.

3 أن مفهوم الوطنية، وممارسة المواطنة يتأثران كثيراً بالبيئة التي تقومان فيها، بمعنى أن الوطنية تقتضي مراعاة ما يرتضيه المجتمع من أسلوب حياة يقيم علاقة الفرد مع مجتمعه ومع دولته ومع الآخرين خارج وطنه، فما تحمله هذه البيئة الاجتماعية من دين ومن أعراف وتقاليد وعادات لا تخالف ذلك الدين؛ فإن هذه الأمور مجتمعة تتشكل منها وسائل وخيوط

علاقات أفراد ذلك الوطن، ويجب أن تكون هذه القيم هي السائدة على أرضه.

4 أن الوطنية وإن كانت أساساً فطرة وجبلة في كل إنسان إلاَّ أن هذه الفطرة إنما تزداد نمواً وتجذراً في القلوب بالاكتساب؛ بمعنى أن عاملَ تأصيل الوطنية، وتربية الأفراد عليها، وتذكيرهم بأهميتها، واستدامة تحريك محبة الوطن بذكر خصائصه وسماته ومكانته ينمي ويعزز مفهوم الوطنية عند أبناء الوطن، ويحملهم بلا شك على تقديم أفضل ممارسة للمواطنة الصالحة الصادقة.

والعكس صحيح؛ فبقدر ما تهمل هذه الأمور، وبقدر ما يكون التقصير في القيام بها، بقدر ما يضعف مفهومُ الوطنية ومحبة الوطن في النفوس، وبقدر ما تذبل حرارةُ تلك النزعة الفطرية، ومن ثم تظهر الممارسة السلبية في حق المواطنة من الخيانات العامة، والسلوكيات الخاطئة، والتفريط في حقوق المجتمع والدولة وغير ذلك.

5 أن الوطنية التي هي الحب للوطن هي مشاعر تعم كل أبناء الوطن الواحد من هذه الأوطان، فلو قدر أن هناك وطناً تتعدد فيه الديانات والعقائد فإن كل فرد من أفراد هذا الوطن له حق الشعور بالوطنية، وله حق المواطنة العادلة مهما كانت عقيدته ودينه

وهذا الكلام ينسحب على الوطن الإسلامي الذي تعيش فيه أقلية غير مسلمة؛ فإن حقَ المواطنة فيه مضمونةٌ لكل من رغب فيه، وقام بأداء مقتضيات هذه الوطنية والتأريخ الإسلامي كما يقول د فهمي هويدي فيه «صفحات رائعة ومشرقة من صور التسامح مع الآخر، واعتماد الحوار والحجة سبيلاً للمعرفة والالتقاء حتى إن الإسلام دافع عن الحريات العامة والخاصة لمواطني دولته سواءً أكانوا مسلمين أم ذميين»[14].

ولقد أدرك غير المسلمين الذين يضمهم مع المسلمين وطن واحد؛ أن الإسلام بحضارته وثقافته مصدر وحدة وطنية لأبناء الأمة جميعاً من مختلف الديانات، حتى قال أحد نصارى مصر كلمته المشهورة «نحن مسلمون وطناً ونصارى ديناً» وقال أيضاً «اللهم اجعلنا نحن نصارى لك، وللوطن مسلمين»[15].

وكان القس القبطي الكاثوليكي المصري يوحنا يقول «أوافق تماماً على أن أكون مصرياً مسيحياً تحت حضارة إسلامية»[16].

المبحث الثاني: دعائم المفهوم الأصيل للوطنية:

المفهوم الأصيل للوطنية تقرره دعائم قوية تكفي لتثبيته ومدحه والدعوة إليه، وأهمها

أ) الفطرة السليمة

ب) الدليل الشرعي

ج) دعامات أخرى

أولاً دعامة الفطرة لمفهوم الوطنية

الفطرة السليمة التي سلمت من الشذوذ والأمراض المفسدة لها هي أكبر وأقوى دليل على حب الوطن والالتفاف حوله، والغيرة عليه، والدفاع عن حياضه، وبذل الغالي والنفيس لأجله، وهذا الشعور الفطري يشعر به كل رشيد من الناس، وقد قيل «من علامة الرشد أن تكون النفس إلى أوطانها مشتاقة، وإلى مولدها تواقة»[17].

ونسب إلى ابن الزبير ﷺ قوله «ليس الناس بشيء من أقسامهم أقنع منهم بأوطانهم»[18].

وهذه الفطرة التي فطر الله الناس عليها من حب الوطن والحنين إليه هي سبب عمرانه وبقائه وقد نسب إلى عمر بن الخطاب ﷺ قوله «عمَّر الله البلدان بحب الأوطان»[19].

يقول الجاحظ مؤكداً هذا المعنى «ولولا ما منَّ الله به على كل جيل منهم من الترغيب في كل ما تحت أيديهم، وتزيين كل ما اشتملت عليه قدرتهم .، ما سكن أهل الغياض والأدغال في الغمق واللثق، ولما سكنوا مع البعوض والهمج، ولما سكن سكان القلاع في قلل الجبال، ولما أقام أصحاب البراري مع الذئاب والأفاعي .»[20].

وهذا الحب الفطري الغريزي للوطن في نفس كل إنسان تؤكده بعض النصوص الشرعية

فمن ذلك أن الله تعالى قرن بين قتل النفس والجلاء من الأرض والوطن وجعلها من التكاليف الشاقة التي يعجز عامة الناس، فقال تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ [النساء 66].

فهذه الآية ساوت بين الخروج من الديار التي فطر الإنسان على حبها والالتصاق بها وبين قتل النفس الذي يعني خروجه من الحياة، والله تعالى ما جعل هذه الموازنة إلاَّ لعلمه تعالى عن موقع الديار والأوطان من قلوب عباده

وسوَّى الله تعالى بين موقع الخروج من الديار وبين موقع هلاك الأبناء [21] في قوله تعالى ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾ [البقرة 246].

وجعل الله تعالى الوطنية أي حب الوطن فطرة إنسانية معادلة للحياة، وجعل فقدها معادلاً للموت فقال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ [البقرة 243].

يقول الأستاذ محمد عماره في توجيه هذه الآية «فالذين خرجوا من ديارهم - وليس الذين أخرجوا - لضعف في وطنيتهم، جعلهم يحذرون الموت، هم

أموات مع أنهم ألوف يأكلون ويشربون وعودة الوطنية إليهم، واستخلاصهم لوطنهم، هو إحياء لهم بعد الممات»[22].

وفطرية حب الأوطان والحنين إليها تتجلى بصورة واضحة ويشعر بها كل أحد إذا خرج من وطنه وفارقه، وهو شعور اضطراري لم يبذل الإنسان أي سبب لكسبه كما أنه لا يستطيع دفعه عن نفسه يقول الجاحظ «كانت العرب إذا غزت أو سافرت حملت معها من تربة بلدها رملاً وعفراً تستنشقه»[23].

وإذا تقرر أن حب الوطن هو ضرورة فطرية يشعر بها أصحاب الفطر السليمة؛ فليعلم أن الاعتماد على هذا المصدر الداخلي في باطن الإنسان أمر مشروع بل إن في الإسلام أموراً كبيرة كان أعظم دليل على الإيمان بها هو الفطرة، من ذلك وجود الله، وربوبيته، ومعرفته، بل جملة الدين وصحته أمر فطري حتى فسرت الفطرة بأنها «الخلقة، أو الدين»[24].

وهذا يدلنا على أن معارضة الفطرة التي فطر وجبل وخلق عليها الإنسان في أي أمر من الأمور يؤدي إلى فساد عريض؛ لأن عدم التسليم لداعي الفطرة يجر الإنسان إلى التيه والشقاء والضلال

وعلى هذا فما يظهر على الإنسان من سلوكيات مشينه تجاه وطنه الذي فطر على حبه، فتلك السلوكيات شذوذ عن الفطرة لا يمكن للفطرة السليمة أن تؤيدها وتقررها بل ترفضها وتلفظها دائماً يستوي في ذلك السلوكيات الباطنة مثل بغض الوطن وكراهيته والحقد عليه وعلى أفراد شعبه، والسلوكيات الظاهرة مثل تخريب مرافق الوطن، وإتلافها، ومثل الغش، والرشوة، والتمرد، والنفاق والظلم

وحتى تبقى الفطرة سليمة سوية فإنه لا بد من حفظها من كل مفسدٍ لها، مؤثر عليها، حائلٍ بينها وبين هدايتها وقد اشار العلماء إلى أن أهم ما يؤثر على هذه الفطرة ويفسدها شيئان

الأول الشيطان الرجيم
الثاني البيئة الفاسدة[25].

أما الشيطان الرجيم فقد نبه الله تعالى عباده في أكثر من آية إلى أن الشيطان الرجيم هو عدوهم اللدود الذي ما يفتأ يضل الإنسان ويميل به عما فطر عليه من الحق والهدى والخير إلى ما يوقعه في الشر والبغضاء

فالله تعالى في كتابه يذكر لنا ما أخذه الشيطان على نفسه من العهد ليفسدن فطر بني آدم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً قال تعالى ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧ ﴾ [الأعراف 16- 17].

وقال تعالى ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ ﴾ [المائدة 91].

وصح عن النبي ﷺ أنه قال في الحديث القدسي « وإني خلقت عبادي حنفاء فأتتهم الشياطين فاجتالتهم»[26].

فكراهية الوطن، والحقد عليه وعلى أمنه، وعلى خيره، والسعي في تخريبه وجر الويلات عليه، وزعزعة أمنه، وإهدار مقدراته، ونشر كل ما يسيء إليه ونحو ذلك، إنما هي مكايد شيطانية خبيثة تمكنت من قلوب ضعيفة هشة فغيرت فطرها وأفسدتها

وأما البيئة الفاسدة، فلا شك أن البيئة هي المؤثر المستمر في سلوك الأفراد والجماعات، وفساد هذه البيئة يلحق الأذى بالفطرة السليمة، وكما قال د يوسف أبو هلاله «إن فساد البيئة يضر بالفطرة أشد الضرر، فتختلط حينئذٍ لديها الأمور، ويتعطل الميزان الدقيق، فيصبح لديها الحق باطلاً، والنور ظلاماً، والشرف عاراً ومعرة .»[27].

وقد أشار النبي ﷺ إلى تأثير البيئة الصغيرة على الإنسان وهي بيئة الوالدين، وبين كيف أنها تصل بتأثيرها إلى أن تصرف الإنسان عما فطر عليه من الاستسلام لله تعالى فقال «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، وينصرانه، ويشركانه .الحديث»[28].

فإذا كان هذا في البيئة الصغيرة فكيف بالبيئة الأعظم والأكبر ومن هنا فلا يمكن أبداً أن يتجرع أي أحدٍ كراهية وطنه من بيئة صالحة، ولا يمكن أن يشذ بفكر أيًّا كان هذا الفكر وهو يستقي فكره من بيئة صالحة، ولا يمكن أن تقوم في ذلك المعين تلك المثالب الفاسدة من الخيانة لدينه ووطنه، ومن المكر بدينه ووطنه إلا أن يكون عاش في بيئة فاسدة، أو صحب صحبة فاسدة وهكذا

وإذ قد وقفنا على مفسدات الفطر السليمة فلنعلم أن العلاج من المفسد الأول وهو الشيطان الرجيم أن يستمسك الإنسان بدينه الحق ويعض عليه بالنواجذ ليكون من عباد الله الذين قال الله فيهم ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ [الإسراء 65].

وأن يستعيذ بالله من الشيطان كلما نزغه، كما قال تعالى ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾ [الأعراف 200].

ولنعلم أن العلاج من المفسد الثاني هو تغيير تلك البيئة، إما بتطهيرها من عناصر الفساد والإفساد، وإما بمفارقة تلك البيئة والبحث عن البيئة الصالحة وملازمتها

ثانياً الدعامة الشرعية لمفهوم الوطنية

إن حب الوطن وما يثمره ذلك الحب أمر فطري، بل دليل على سلامة الفطرة وحسن الطبع كما سبق والإسلام بعقيدته وشريعته لا يمكن أن يضاد الفطر

السليمة، ولا يمكن أن يتعارض مع قوانينها أبداً؛ لأنه دين الفطرة بل هو الفطرة نفسها كما قال الله تعالى ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ [الروم 30].

يقول سيد قطب - رحمه الله - في ظلال هذه الآية «وبهذا يربط بين فطر النفس البشرية وطبيعة هذا الدين، وكلاهما من صنع الله، وهما موافقان لناموس الوجود، وكل منهما متناسق مع الآخر في طبيعته واتجاهه .»[29].

والوطنية أي حب الوطن والحنين إليه والالتصاق به والدفاع عنه والبذل له هذه الأمور هي من الفطر التي قررها الإسلام، وهذه المفاهيم إنما تكون قوتها في النفس مرتبطة بقوة الدين في قلب الإنسان؛ فالذي يخلص لوطنه تديناً، ويدافع عن أرضه تديناً ويحافظ على أمته وكرامته وعزه وسائر مكتسباته تديناً، هو الذي تمخض فيه مفهوم الوطنية الصحيح، وهو حقاً الذي مارس المواطنة بكيفيتها المطلوبة شرعاً

والتاريخ يؤكد أن كثيراً من الحركات الوطنية التي قامت في بعض البلاد العربية لتحقيق استقلال تلك البلدان ونهضتها كان لدافع الدين فيها أثر بالغ جداً وأضرب لذلك مثالاً بالحركة الوطنية في المغرب يقول علال الفاسي عن هذه الحركة «كان دعاة السلفية في المغرب أهم أساتذة شباب الحركة الوطنية، ولذلك امتزجت كل من الدعوة السلفية والحركة الوطنية تمازجاً تاماً، وهو الأمر الذي كان ذا فائدة مزدوجة في المغرب الأقصى على السلفية والوطنية معاً»[30] وكذلك وطنية عبدالقادر الجزائري، وعمر المختار في ليبيا، وأمين الحسيني في فلسطين، وغيرهم كلها كانت بدافع ديني[31].

وكانت مهمة الدعاة من حملة العلم الشرعي في هذه الحركات شحن الوجدان القلبي وزرع الشجاعة والبطولة في نفوس أبناء هذه الحركة للدفاع عن

وطنهم، وتطهيره من المستعمر، والنهوض به، ولهذا قام دعاة السلفية بمحاربة الطرقية والفكر الخرافي المتواكل والمنهزم والمورث للتخلف والانحطاط[32].

إذاً فالوطنية الحقة هي التي تنطلق من عقيدة ودين يقول د محمود سفر «المواطنة التزام أخلاقي تفرضه العقيدة، ويتعايش معه الفرد وتعيش له الجماعة»[33].

وعن صلة الوطنية الصحيحة بالدين يقول المفكر الإسلامي فهمي هويدي «وإن الوطنية الحقة لا تخالف الشرع أو تحيد عنه؛ لأنها بمثابة الفرع عن الأصل، والجزء من الكل، أما الفهم الخاطىء لها، فلا يحسب على الإسلام»[34].

ويؤيد هذا كثير من النصوص الدالة على أحكام كثيرة، يتوجه بعضها إلى الراعي والواجبات المنوطة به، والحقوق الثابتة له، ويتوجه بعضها إلى الرعية - واجباتهم وحقوقهم- ، وتتوجه أخرى إلى عامة الأمة من وجوب إعمار الأوطان، وصيانتها، والحفاظ عليها وعلى أهلها إلى آخر ذلك، ويطول المقام بذكرها ونكتفي ببعض تلك النصوص، ومنها

أولاً حرص النبي ﷺ على إقامة وطن يقام فيه دين الله في الإرض فإقامة وطن أصبحت عند النبي ﷺ في أول دعوته ضرورةً ملحةً سعى إليها بكل ما استطاع من قوة وفكر، مؤيداً بهداية الوحي[35].

وتحقيقاً لتلك الغاية كان النبي ﷺ يعرض نفسه على القبائل عله يجد الأرض الآمنة التي يكون فيها السلطان للمسلمين، فرحل إلى الطائف يطلب النصرة من ثقيف، وكان في مواسم الحج يعرض نفسه على القبائل ذكرها العلماء قبيلة قبيلة[36].

حتى مكن الله لنبيه ودينه وطناً آمناً وذلك حين آمن برسالته الأنصار من الأوس والخزرج وكانت بيعة العقبة الثانية بين الرسول ﷺ وبين الأنصار وفيها

بايعوه على السمع والطاعة في المنشط والمكره وعلى أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم[37].

ثم لما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة المنورة بدأ بالفعل قيام الوطن الإسلامي الذي ظهرت فيه الوطنية بمفهومها العملي المتمثل في وضع أسس المواطنة الصالحة، وبمفهومها الشعوري المتمثل في حب هذا الوطن والحنين إليه

أما ظهور الوطنية بمفهومها العملي فكان في الوثيقة التي كتبها النبي ﷺ بينه وبين أهل المدينة، والتي اشتهرت عند بعض المؤلفين بـ «دستور المدينة»[38].

وفي هذه الوثيقة تحددت معالم المواطنة على قدر ما يحتاجه ذلك الوطن وأهله، فقد تضمنت هذه الوثيقة (47) بنداً للمواطنة[39] من أهمها

1 إحلال الرابطة الدينية محل الرابطة القبلية في قيام العلاقات بين أفراد هذا الوطن وذلك من قوله ﷺ في المسلمين «إنهم أمة واحدة من دون الناس»

2 مراعاة غير المسلمين من مواطني هذه الدولة وهم اليهود وقد حددت الوثيقة ما لهم من الحقوق وذلك في قوله ﷺ «وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلاَّ من ظلم وأثم» وقوله «وأن من تبعنا من يهود، فإن له النصرة والأسوة .».

3 تعيين رئيس للدولة والوطن وهو النبي ﷺ.

4 تعيين دستور هذا الوطن الذي يتحاكم إليه سائر المواطنين وهو كتاب الله وسنة نبيه، وذلك في قوله ﷺ «وأنكم مهما اختلفتهم فيه من شيء، فإن مرده إلى لله وإلى محمد .».

5 تقرير مبدأي العدل والمساواة.

وغيرها من المواثيق التي تضبط سير المواطنة الصالحة في ظل الشريعة الإسلامية

وأما ظهور مفهوم الوطنية الشعوري في هذا الوطن الأول للإسلام وأهله، فقد كان فيما أبداه النبي ﷺ من حب عظيم ليس له حدود للمدينة وأهلها وفي حنينه القوي إليها إذا خرج منها؛ فعن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ كان إذا قدم من سفرٍ فنظر إلى جدران المدينة أوضع راحلته، وإن كان على دابة حركها من حبها[40].

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في شرح الحديث «وفي الحديث دلالة على فضل المدينة وعلى مشروعية حب الوطن والحنين إليه»[41].

ثانياً لم تقف نصوص الشرع المقررة لمفهوم الوطنية عند مجرد الحب له والحنين إليه بل تعدت ذلك إلى أن جعلت حماية الأوطان وحراستها والدفاع عنها ذروة سنام الإسلام فقد أوجبت الشريعة الجهاد، وجعلته فرض عين إذا اعتدى على الوطن

ثالثاً بيَّن الله تعالى من لا تجوز مصادقتهم، وحرَّم موالاة كل من يسعى إلى أذية المسلمين في أوطانهم، وكل من أخرج المسلمين أو بعضهم من أوطانهم وديارهم سواءً بالتهجير منها، أو عزلهم عن امتلاك خيرات الوطن، والتحكم في مقدراته[42].

فقال الله تعالى ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الممتحنة 8- 9].

وهذا تشريع إلهي في حفظ الأوطان والديار وسد كل باب يفتح للاعتداء عليها

رابعاً اشتملت نصوص الشرع على كثير من أحكام المواطنة سواء ما يخص الحاكم، أو المحكومين، وحددت تلك النصوص الواجبات على كل منهما، وتوجهت إلى أحكام الديار والأوطان نفسها

وقد جمع علماء الإسلام تلك النصوص، وأضافوا لها اجتهادات العلماء المباركة المتعلقة بالمواطنة وهي ما اشتهر عند العلماء بالسياسة الشرعية، وصنفوا ما جمعوه في مصنفات مستقلة عن بقية أحكام الشريعة الإسلامية ومن تلك المؤلفات السياسة الشرعية لابن تيمية رحمه الله - والأحكام السلطانية والولايات الدينية للماوردي، والطرق الحكمية في السياسة الشرعية لابن القيم، وغياث الأمم لأبي المعالي الجويني، وتحرير الأحكام لابن جماعة، وغيرها مما يشفي العليل ويروي الغليل من أحكام المواطنة الصالحة، ويؤكد الدعامة الشرعية للوطنية والمواطنة

خامساً أن المتأمل في طبيعة الإسلام وشريعته وعقيدته ومصادر تلك الشرائع والعقائد لن يجد فيه أبداً ما يدل على التقليل من قيمة الوطن المحدد أو الوطنية وذلك من وجوه

1 أن الإسلام يؤكد أن الله أنشأ البشر، مسلمين أو غير مسلمين في الأرض واستعمرهم فيها الأمر الذي يؤكد وجود الوطن المحدد لكل فئة من الناس

2 أن الإسلام يبتغي التمكين في الأرض لأتباعه ليقيموا عليها دينهم والتمكين مشتق من المكان أي الوطن الذي يتعين عليهم إيجاده ليتمكنوا من إقامة دينهم فيه.

3 أن الإسلام دين واقعي تتكامل فيه المقاصد والغايات مع الذرائع والوسائط، فإقامة الشرائع مقصد ووجود الوطن المعروف المحدد المعالم لقيام ذلك وسيلة فالإسلام يسعى بواقعيته إلى الأمرين معاً[43].

ثالثاً الدعامات الأخرى

من الدعامات الأخرى لمفهوم الوطنية المكانة التي يتبوأها ذلك الوطن بين سائر الأوطان، فوطن كالمملكة العربية السعودية مثلاً يشعر مواطنوه بمكانته الخاصة بين سائر الأوطان الإسلامية، ويشاركهم في هذا الشعور كل مؤمن صادق

يشعر مواطنو هذا الوطن وغيرهم أنه قبلة المسلمين في صلواتهم، ومقصدهم في حجهم، وأنه مهبط الوحي، وبلد الرسول ﷺ الذي يؤمنون به ويتبع شريعته، وأنه مهد الإسلام، وقاعدة انطلاقه، وأنه بلد المقدسات التي شرف بخدمتها وخدمة قاصديها، وهو قلب جزيرة العرب التي اختصها الله تعالى بخصائص ليست في غيرها.[44] فهي حرم الإسلام، ومأزره كما قال ﷺ «إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز المحية إلى جحرها»[45].

هذا الشعور بمكانة هذا الوطن من أكبر وأقوى دعائم الوطنية الصالحة، وكذلك يدعم مفهوم الوطنية بمشاعر أخرى يشعر بها الإنسان تجاه وطنه ومنها

1 اعتبار الوطن بمثابة البيت الذي يأوي إليه ليعيش فيه في سلام واطمئنان
2 الوطن هو مقر أملاكنا وأرزاقنا التي كتبها الله لنا.
3 الوطن هو واحة ذكريات الإنسان الجميلة والخالدة التي عاشها الأسلاف والأجداد التي تبعث في الإنسان الفخر والاعتزاز بها[46] .كل هذه المشاعر تشد الإنسان إلى وطنه ولا شك

المبحث الثالث: مقومات الوطنية الأصيلة في الفكر الإسلامي:

تقوم الوطنية في الفكر الإسلامي على مقومات عدة تضمن صلاحية ممارستها فيما عرف بالمواطنة العادلة التي تجلب الخير والنفع لمواطني الوطن ودولته وكيانه

وأهم هذه المقومات[47]:

1 -التمسك بالشريعة الإسلامية عقيدة وشريعة ونظاماً يحكم به جميع أفراد الوطن الواحد قال تعالى ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [يوسف 40].

2 -التمسك بمحاسن الأخلاق التي حددها الإسلام، وهي مقوم عظيم لحفظ علاقات المواطن بدولته وبإخوانه المواطنين، وهي كفيلة قطعاً بحفظ حقوق المواطنة، وبحفظ النظام، أو الدستور الذي يحكم الوطن ومن تلك الأخلاق التي يتعين التمسك بها

- الأمانة لقوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ﴾ [الأنفال 27] وقوله ﷺ «لا إيمان لمن لا أمانة له»[48].
- الوفاء بالعهود لقوله تعالى ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾ [النحل 91].
- الإخلاص لله ثم للوطن - دولة، ودستوراً، وشعباً - إذ إن المواطنة الصالحة هي من حقوق العبادة التي يشترط فيها الإخلاص قال تعالى ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة 5].
- الصدق كما قال ﷺ «عليكم بالصدق، فإن الصدق من يهدي إلى البر.»[49]. ويكون الصدق في حديثه، وفي وعده، ومعاملته، وجميع أحواله.
- التعاون على البر والتقوى لقوله تعالى ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة 2].

3 -طاعة أولياء الأمور في غير معصية الله لقوله تعالى ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء 59].

4 -المحافظة على النظام والالتزام بقواعد وأنظمة الدولة.

5 -الدفاع عن الوطن.

6 -المحافظة على أمن الوطن.

7 -محاربة الظلم بشتى صوره.

8 -الحرية الإيجابية وهي التمكن من فعل كل شيء لا يخالف الشريعة ودستور الأمة، ولا يضر بالغير.

9 -المساواة بمعنى أن أناس ذلك الوطن كلهم أمام الشريعة أو الدستور سواء ليس بينهم تمييز بأي سبب من الأسباب.

10 العدالة في الولاية على الناس وإعطاء كل ذي حق حقه لقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل 90].

الفصل الثاني

المفهوم الدخيل للوطنية

أسميت هذا المفهوم بالمفهوم الدخيل؛ لأنه دخل على الأمة الإسلامية مع غيره من الأفكار الغريبة عن عقيدة هذه الأمة وطبيعة دينها القائم على جلب المصالح للخلق ودفع المفاسد عنهم

وعليه فليس لهذا المفهوم أصل في الإسلام، بل إن الإسلام بعقيدته وشريعته يقف ضد هذا المفهوم الذي قامت فيه مثالب، وظهرت فيه مفاسد لا تتواءم مع الإسلام بل إن هذا المفهوم كان من أهم أسباب ووسائل تفرق هذه الأمة وتمزقها كما سنرى

وهذا المفهوم صُدِّر إلى الأمة بخبث وكيد من أعداء هذا الدين الذين أزعجهم ولا يزال يزعجهم بل يقظ مضاجعهم أن تبقى الأمة المسلمة مجتمعة يتبادل أبناؤها الولاء الديني والذي من خلاله يشعرون بآلام بعضهم، ويتعاونون في دفع كل ضيم يصيب عضواً أو أكثر من جسد هذه الأمة

وقد اعترف الذين تأثروا بهذا المفهوم من العرب بأن هذا الفكر غريب عليهم، وأنه من نتاج أفكار الغرب

يقول د عبدالعزيز جاويش «إن الشعور بالوطنية إصطلاح افرنكي انتقلت بذوره إلى الشرق من مطاوي العلوم العصرية وأصول المدنية الحديثة التي اهتدى إليها الغرب»(50).

وسوف أتناول هذا الفصل من خلال المباحث التالية

المبحث الأول: نشأة فكرة الوطنية في الغرب:

من المهم جداً أن نقف على نشأة فكرة الوطنية القومية المتعصبة في أووربا، إذ من خلال معرفة هذه النشأة يمكننا الوقوف على السبب الرئيسي لتعلق الأوروبيين منذ القدم بمثل هذا الفكر الذي قامت عليه أخلاقهم ومن ثم أوضاعهم الاجتماعية والسياسية

والذين سبروما التأريخ الأوروبي الذي هو امتداد للحضارة اليونانية والرومانية وقفوا على حقيقة هامة كانت هي السبب الرئيس في تعلقهم بمثل هذه الأفكار المتعصبة

هذه الحقيقة هي أن اليونان والرومان جمعتهم خصائص معينة هي كما يقول أبو الحسن الندوي - رحمه+الله: «إيمان بالمحسوس، وغلو في تقدير الحياة، وشك في دين، وضعف في يقين، واضطراب في العقيدة، واستخفاف بالنظام الديني وطقوسه، واعتزاز بالقومية وتعصب لها، وحب مفرط للوطن زد إلى ذلك كله اعتداداً بالقوة واحتراماً زائداً لها يبلغ العبادة والتقديس»(51).

إذاً فقد كان التعلق بالفكر القومي الذي تمثل في الوطنية المتعصبة نتيجة أو إفرازاً لعدد أمور وأخلاق سيئة هي

1 حصر الإيمان في المحسوسات المشاهدة وإهمال أو تناسي أو حتى إنكار ما وراء ذلك المحسوس ومن هنا فالحياة الحاضرة المشاهدة هي التي يتوجه إليها الاهتمام، وتصرف لها الجهود، ويبذل من أجلها الغالي والنفيس، ولما كانت هذه النظرة تولد الأنانية بالطبع كان التعصب للذات وللقوم ومن ثم للوطن بشكل يترتب عليه الاعتداء على حقوق الآخرين، والتقدم على فضائل الأخلاق هو ما يتناسب مع هذه النظرة

2 الشك في الدين الذي يدينونه، وهي المسيحية المحرفة التي تقتضي وتستلزم بطبيعتها هذا الشك، وقد وصل بهم الشك في دينهم والاستخفاف به إلى مثل ما قاله الراهب أغستين «إن الروم الوثنيين كانوا يعبدون آلهتهم في المعابد ويهزأون بهم في دور التمثيل»[52].

ولما كان موقفهم من الدين هكذا لم يعد له أي تأثير في أخلاق هذه الأمم ولا في سياستهم، ولا في مجتمعاتهم، ولا في مشاعرهم ولا في ميولهم ونزعاتهم، وأصبح المسيطر على كل تلك الأمور هي النظرة المادية لكل شيء والتي كانت بعيدة عن جميع القيم الروحية

والسبب الذي جعل الأوروبيين يستخفون بالديانة النصرانية، ويهزأون بها، وبعد ذلك يبدأون في التمرد عليها ومن ثم التعلق بغيره كرابطة جامعة لهم أمران

الأول أن الدين المسيحي لم يصل إلى الأمبراطوريات الأوروبية في صورته الكاملة، وإنما وصل إليهم كعقيدة مفصولة عن الشريعة، ومن هنا بقي الدين لديهم عبارة عن إيمان ضعيف قابع في وجدانات الناس، ولكنه عاجز عن حكم واقعهم العملي، فهم يحكمون بغيره من القوانين

الثاني أن هذه العقيدة التي جاءت كصورة للدين لم تكن عقيدة واحدة، وإنما وصلت إليهم وقد غدت عقائد شتى مختلفة ومتعارضة ومتعادية، ولهذا كان هذا الدين الذي انحصر في الاعتقاد الباطني، والذي انقسم أهله عليه واختلفوا في أصله لا يصلح أن يكون رابطاً وجامعاً لهذه الأمة بل هو في الحقيقة يمزق ويفرق ولا يجمع أبداً[53].

وبسبب هذين الأمرين أخذ الغرب يبحث عن رابطة أخرى تجمع أفراد شعوبهم فتعلقوا بهذه الأفكار المتعصبة من القومية والوطنية

3 الاعتزاز بالقومية العرقية والتعصب لها، وهو نتيجة طبيعية لكل ما سبق بمعنى أنه لما اقتصرت النظرة عند الأوروبيين إلى المادة المحسوسة، وخف في نفوسهم الإيمان والدين كانت نتيجة ذلك أن ظهرت حركات التمرد على هذا الدين المحرف الضعيف ثم توسعت تحت ما يسمى بحركات الإصلاح الديني والتي على إثرها بدأ الاستقلال على الكنيسة، والانسلاخ من سيطرة البابوات حتى إذا اضمحلت الديانة النصرانية كلها في نفوس أهلها قويت العصبية القومية والوطنية المرتبطة بها والتي ترتب عليها فعلياً ما يلي

أولاً تحجيم أفق معتنقها؛ فبدلاً من أن يكون أفقه العالم، والإنسانية، إذا أفقه هو قومه، والرقعة الضئيلة التي يسكن فيها قومه

ثانياً هبوط قيم معتنقها؛ فبدلاً من أن تكون قيمه معانٍ رفيعة من المعاني التي تقاس بها رفعة الإنسان، إذا قيمُه هي مصالحُ قومه، وهي مصالح مادية يتعارك فيها ويتصارع مع امثاله من الهابطين في قيمهم

ثالثاً محاربة كل القيم والأفكار التي يمكن أن تكوِّن رابطاً كالدين الذي هو أعظم الروابط

رابعاً السعي إلى توسيع رقعة كل وطنية قومية على حساب قومية أخرى أضعف منها[54].

وحروب القرن التاسع كانت كلها صادرة من هذه الفكرة العصبية القومية والوطنية فعلى أساسها قامت الوحدة الألمانية والوحدة الإيطالية، ثم ارتفعت على أساسها أصوات جديدة تنادي بالوطنية بين التشيك والسلوفاك والرومانيين والبولنديين إلى آخره[55].

ومن خلال ما تقدم يتبن لنا أن مفهوم الوطنية عند الغرب الأوروبي قام على مبادئ خطيرة هي بإيجاز

1 إلغاء الرابطة الدينية تماماً فكما أن سائر أمورهم الحياتية قامت على غير دين، فكذلك الروابط الاجتماعية قامت على غير دين

2 الربط بين الوطنية وبين القومية العصبية، ولهذا كانت حدود الوطنية لديهم تشمل القوم والجنس المعين كله كما ذكرت في القومية الإيطالية والألمانية وهكذا.

3 الغلو في الوطنية بشكل جعل حب الوطن عندهم يتجاوز كل الأخلاق الإنسانية والقيم الروحية كما قال الندوي - رحمه الله: «وكان حب الوطن يتقدم فضائل الأخلاق التي أجمع عليها حكماء اليونان، وإن أرسطا طاليس لم يكتف بحب وطنه والولاء له فحسب، بل قال إن اليونانيين لهم أن يعاملوا الأجانب بما يعاملون به البهائم»[56].

المبحث الثاني: انتقال فكرة الوطنية إلى الأمة الإسلامية:

انتقلت فكرة الوطنية بمثالبها السابقة إلى بعض الأقطار الإسلامية، والذي مهَّد لانتقال هذه العدوى هي نفسها الأمور التي أفرزت فكرة الوطنية المرتبطة بالقومية المتعصبة في الغرب، أفصد بذلك

1 ضعف الالتزام بالدين

2 عودة النـزعة القومية العرقية.

وقد ذكر المفكرون المسلمون أبرز الأقطار الإسلامية التي سرت إليها هذه النـزعة

- فمنها نزعة الترك إلى إحياء القومية الطورانية وعودتها تحت ظل وطن واحد يتسع ليشمل كل من ينتمي إلى الطورانية من الترك والمغول وهذه نزعة غدت عند الترك ظاهرة ينادون بها، ويرفعون من خلالها شعار أنهم ترك أولاً ومسلمون ثانياً، وأعلنوا عدم التدين وإهمال الجامعة الإسلامية، إلا إذا كانت خادمة لنفوذ القومية الطورانية[57].
- ومنها نزعة الفرس إلى الفارسية القديمة، وإعادة بناء وطنها وحضارتها بل وأديانها السابقة التي هدمها الإسلام[58].
- ومنها نزعة الوطنية المصرية التي نادت بالقومية المصرية، وبثت الشعور بالوطنية الإقليمية القائمة على الجنس لا على الدين، والتي نادت بقصر الاهتمام على المصالح المصرية دون سائر الأمة، وقد تمثلت هذه الدعوة في جمعية «مصر الفتاة السرية التي تألفت في الإسكندرية وهي تشابه تماماً جمعية «تركيا الفتاة»[59].

وكنت ذكرت أن فكرة الوطنية الممتزجة بالقومية ومحاربة الرابطة الدينية قد انتقلت إلى العالم الإسلامي بطريقة التصدير المتعمد لتحقيق أهداف معينة، وهذه الفكرة هي وسيلة من بين وسائل الغزو الفكري للعالم الإسلامي المخطط له من قبل أعداء الإسلام

والأهداف التي يراد تحقيقها من تصدير هذه الفكرة بالذات كما ذكر الأستاذ محمد قطب - حفظه الله - هي

1 تحويل حركات الجهاد الإسلامي المشروع ضد الإستعمار الصليبي حينذاك إلى حركات وطنية تكون نظرتها إلى العدو على أنه مستعمر

فقط لا على أنه صليبي مستعمر، وشتان بين أن ينظر المجاهد إلى العدو وهو على حقيقته وبين أن ينظر إليه مغلفاً برداء الاستعمار

2 تحويل هذه الحركات الجهادية أيضاً إلى حركات سياسية يمكن التفاهم معها بالوعود الكاذبة، والتذرع إلى ذلك بشتى المعاذير المصطنعة لتنتهي تلك المفاهمات إلى أشياء كاذبة يلعب بها أولئك الساسة على عقول الجماهير.

3 تيسير عملية التغريب وإدخال فكر وعقائد وتقاليد وأنماط سلوك الأعداء المنافية للإسلام، وهي أهم ما يحرص عليه المستعمرون للدول الإسلامية وذلك لن يتسنى لهم حتى تتحول الحركات الجهادية ضد المستعمر إلى حركات وطنية يكون الحاجز فيها بين المستعمر والمقاوم أرق يسمح بالأخذ عنه[60].

بهذه المثالب التي حملتها فكرة الوطنية المذمومة، ولأجل هذه الأهداف التي روعيت لتصدير هذه الفكرة دخلت هذه الفكرة على المسلمين وكان تلقي بعض الأمة لهذه الفكرة على شكلين

الشكل الأول الذين تبنوا هذه الفكرة مع اعترافهم بالرابطة الأساس وهي الرابطة الدينية، وهؤلاء صبغت الوطنية لديهم بصبغة إسلامية، ومن أبرز هؤلاء مصطفى كامل رائد الوطنية في عصره، الذي قال «إن الوطنية هي أشرف الروابط للأفراد، والأساس الذي تبني عليه الدولة القوية، والممالك الشامخة، وكل ما ترونه في أوروبا من آثار العمران والمدنية، ما هو إلا ثمار الوطنية»[61].

نجده لا ينفك عن الاعتماد على الدين حين يقول «ولكني أرى أن الدين والوطنية توأمان متلازمان، وأن الرجل الذي يتمكن الدين من فؤاده يحب وطنه حباً صادقاً، ويفديه بروحه وما تملك يداه»[62].

الشكل الثاني الذين تبنوا فكرة الوطنية على صورتها المذمومة التي قامت عليها في الغرب بمعنى أنهم دعوا إلى الوطنية الإقليمية التي تقوم على الجنس لا على الدين، وأصبح دعاة الوطنية القومية هذه يهاجمون الرابطة الدينية، ويعتبرونها مصدر شر وتفرقة بين أبناء الوطن الواحد، وقد أشار الشيخ محمد عبده إلى هؤلاء الذين عاصر ظهورهم فقال «ثغثغ جماعة من متزندقة هذه الأوقات في مفاسد التعصب الديني، وزعموا أن جمعية أهل الدين لما يؤخذ به إخوانهم من ضيم، وتضافرهم لدفع ما يلم بدينهم من غاشية الوهن والضعف هو الذي يصدهم عن السير إلى كمال المدنية، ويحجبهم عن نور العلم والمعرفة، ويرمي بهم في ظلمات الجهل ومن رأى أولئك المثغثغين أن لا سبيل لدرء المفاسد واستكمال المصالح إلا بانحلال العصبية الدينية ومحو أثرها»[63].

ومما سبق يمكننا أن نقول أن مفهوم الوطنية ظهر في الأمة بالشكل الممدوح المحمود الذي هو حب الوطن والدفاع عنه والبذل ولكن بدافع الدين، وبعدم الانفكاك عن الرابطة الإسلامية

كما ظهر مفهوم الوطنية بشكله المذموم القائم على الإنسلاخ من الدين ونبذه وتنحيته عن أن يكون رابطاً بين أفراد الشعوب، وقائم كذلك على الغلو المفرط في حبه

المبحث الثالث: ارتباط قيام الوطنية بفصلها عن الدين، وبقطع الولاء عن عامة المسلمين:

ويأتي السؤال بعد ذلك، وهو هل صحيح أن مفهوم الوطنية وفكرتها وما يترتب على تقريرها من قيام المواطنة الصالحة لا يكون إلا بعد أن ننخلع من ربقة الدين وقيود الشريعة؟

وهل صحيح أنه لا يمكن قيام الوطنية والمواطنة إلاَّ بالتعصب القومي لهذا أو ذاك القطر المعين مع قطع الولاء للأمة وقصر الاهتمام على مصلحة ذلك القطر؟

أما عن السؤال الأول فقد رفع دعاة الوطنية الغربية المذمومة شعاراً يرونه قاعدة للوطنية وهو أن «الدين لله والوطن للجميع»، وهذه الكلمة كما يقول د.يوسف القرضاي - حفظه الله: «كلمة حق يراد بها باطل، ويمكن أن تقلب على كل الوجوه، فنستطيع أن نقول إن الدين لله والوطن لله، أو الدين للجميع والوطن للجميع، أو الدين للجميع والوطن لله»[64].

والمراد من هذا الشعار الذي تقوم عليه الوطنية المذمومة أن الدين ما هو إلاَّ علاقة بين قلب الإنسان وربه، ولا يمكن أن يكون له مجال في الحياة، وعليه فلا يصح أن تقوم العلاقات بين أفراد الوطن على أساس الدين، ولا تتواءم المواطنة مع حكم الدين على كل مجريات الحياة في الوطن

وهذا الشعار - الدين لله والوطن للجميع غالباً ما يرفع في الأوطان المسلمة التي يعيش فيها غير المسلمين من أصحاب الملل الأخرى، وكان أصحاب هذا الشعار يظنون أن الاعتماد على الإسلام يمزق وحدة الأمة التي تتألف من عناصر دينية مختلفة

وهذا في الحقيقة زعم خاطىء من وجوه

الوجه الأول أن الإسلام دين ودولة ونظام يحكم وليس مجرد عقائد قلبية تكمن في الضمائر والبواطن، وهذا الأمر تؤكده نصوص الإسلام، وتاريخه، وطبيعته

أما نصوص الإسلام، فالقرآن والسنة مملوآن بالنصوص التي توجهت إلى الحكَّام وإلى المحكومين، تأمر الحاكم بالعدل ورعي الأمانات، وتأمر المحكومين باختيار الأصلح ديناً وعقلاً لسياستهم، وتأمرهم بطاعته، والحفاظ على بيعته

وورد في السنة عشرات الأحاديث التي تتحدث عن الخلافة والإمارة والقضاء وتتحدث عن الأئمة وصفاتهم وحقوقهم، وتحدد واجباتهم من إقامة حدود الله، ورعاية حقوق الناس إلى غير ذلك من أمور وشئون الحكم والسياسة [65]. كما ورد في العديد من كتب السياسة الشرعية التي أشرت إليها من قبل

وأما تاريخ الإسلام فقد سبق أن بينت كيف أن النبي ﷺ قد سعا بكل ما أوتي من جهد إلى إقامة دولة ووطن لدعوته حتى أتم الله له ذلك، وكان الإسلام قد فرض على كل أتباعه الهجرة إلى ذلك الوطن الذي اختاره الله للإسلام

وبعد وفاة النبي ﷺ كان الصحابة ثم التابعون ثم الدول الإسلامية بعدهم تبادر إلى الحفاظ على الدولة بالبيعة للإمام وإقامة الحقوق للرعية ليبقى الإسلام ديناً ودولة كما أراده الله تعالى

ولم يعرف المسلمون في تاريخهم انفصالاً بين الدين والدولة إلاَّ حين نجم قرن العلمانية في هذه العصور المتأخرة[66].

وأما طبيعة الإسلام، فمعلوم أن الإسلام دين عام وشريعة شاملة لكافة نواحي الحياة

وهذه الشريعة تدعو بطبيعتها إلى التنظيم وتحديد المسئولية، وتكره الفوضى والاضطراب، وشريعة هذه طبيعتها لا شك أن من أولوياتها قيام الدولة

التي تحكم بهذه الشريعة المنزلة من الله تعالى، وقد أكد علماء الأمة على هذه الطبيعة في الشريعة وعلى هذا الهدف الهام.له قال ابن تيمية - رحمه+الله: «يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين وللدنيا إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلاَّ بالاجتماع، لحاجة بعضهم إلى بعض، ولا بد عند الاجتماع من.رأس .»[67].

الوجه الثاني أن الإسلام - دين الوحدة والمساواة - قد كفل هذه الروابط بين جميع أفراده من أهل الوطن الواحد ما داموا متعاونين على الخير، يدل على ذلك بكل وضوح وجلاء قول الله تعالى ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة 8].

فحدد الإسلام ميزان التعامل مع غير المسلم من المعاهدين والذميين والمستأمنين وليس هنا موطن جمع النصوص الشرعية الدالة على ذلك والكتب التي جمعت أحكام غير المسلمين من الذميين والمستأمنين والمعاهدين من النصوص الشرعية ومن اجتهادات العلماء كثيرة[68].

الوجه الثالث أن السعي إلى فصل الدين عن الدولة لقيام المواطنة قد جر على الأمة المسلمة ويلات عظيمة؛ فإن هذا المطلب قد جر إلى مكيدة عظيمة هي التسليم بحق جميع المواطنين المسلمين وغيرهم في ممارسة كل أمور السياسة الكبيرة والصغيرة اليسيرة والخطيرة حتى ما يتعلق بمصير الأمة، ومن أجل هذا الحق نادى غير المسلمين إلى فصل الدين عن السياسة كاملة حتى يتسنى لهم ممارستها كحق مشروع لهم

وقد أظهرت لنا التجارب أن الطوائف الغير مسلمة والتي هي أقليات في بعض الدول المسلمة لما تمكنت من الإمساك بزمام السياسة في تلكم البلدان كشفت قناع الإخاء الوطني الذي كانت تدعيه، وأخذت تنبش في مزاعم تاريخية قديمة

على الفتح الإسلامي لتدعي أن هذا الوطن لها، ومن ثم قامت بمحاربة الأكثرية المسلمة بضراوة وحقد لتحرمها من حقوقها في أوطانها[69].

أما السؤال الثاني وهو هل صحيح أنه لا يمكن قيام الوطنية وممارسة المواطنة إلا بالتعصب القومي لهذا أو لذاك القطر المعين مع قطع الولاء للأمة، وقصر الاهتمام على مصلحة ذلك القطر؟

فيقال في الإجابة عليه إنه لا يصح أبداً أن يضيق أحد من المسلمين في أي قطر من أقطارهم بانتمائه لأمته بحجة أن الانتماء للامة يلغي الانتماء للوطن وذلك لأمور

الأول أن الله تعالى جعل المسلمين أمة واحدة وإن تعددت أوطانهم وشعوبهم ولغاتهم وقبائلهم فقال ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحجرات 13] فهذا الحكم العام للناس كلهم تدخل فيه أمة الإسلامة فهي أمة واحدة وحدها دين الإسلام وإن تعددت أوطانها ولهذا قال تعالى ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء 92].

فمع هذا التعدد في الأوطان إلا أن ولاء كل الشعوب المسلمة هي لله ولرسوله ولجماعة المسلمين، والواقع خير شاهد على ذلك؛ فإن المسلمين في كل الشعوب يتفاعلون مع قضايا أمتهم ويعيشون آلامهم وآمالهم يقول د يوسف القرضاوي «ولا غرو أن يكون المسلمون أمة واحدة؛ فإن ربهم واحد، ورسولهم واحد، وكتابهم واحد، وقبلتهم واحدة، وشعائرهم واحدة، وشريعتهم واحدة، وفلسفتهم الأساسية عن الدين والحياة والله والإنسانية واحدة»[70].

إن المسلم لا يمكن أن ينخلع عن الشعور بوحدته مع أمته الكبرى بسبب أي عصبية إلاَّ وقد انخلع من هذا الدين ولم يعد يصله به أي عقد باطني أو ظاهري لأن الله تعالى قال ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة 71].

الثاني أن الشرع قد حرَّم علينا أية عصبية تولد مثل هذا الاعتقاد وحذر منها أشد تحذير قال ﷺ «ليس منا من دعا إلى عصبية، أو قاتل على عصبية، أو مات على عصبية»[71].

الثالث أن الانخلاع عن الأمة وجماعة المسلمين بدعوى التعصب للوطن لا يقود إلاَّ إلى الهلاك والضعف، وقد قال ﷺ «يد الله على الجماعة فإذا شذ الشاذ منهم اختطفته الشياطين كما يختطف الشاة ذئب الغنم». [72] ومفهوم الحديث يشمل كل من ينظر إلى الوطنية بهذا المنظار الذي يقول كل قطر فيه نفسي نفسي فإن «الفرد بمفرده ضعيف، والقطر بمفرده ضعيف، وهيهات هيهات أن يستطيع قطر واحد مهما بلغ حجمه أو غناه - النجاة وحده في عصر التكتلات الكبيرة التي لا مكان فيها للصغير إلا أن يكون مكان الذيل من الرأس، أو العبد التابع من السيد المتبوع»[73].

الأمر الرابع أنه لا تنافر ولا تضاد بين حب الوطن والقيام بحقوق المواطنة الكاملة له وبين الولاء لعامة الأمة؛ فالمسلم يحب وطنه وقطره المحدد الذي ينتمي إليه وينتسب له، والذي يجد من الخير والحقوق فيه ما لا يجد في غيره، ويحرص على مصلحته وجلب الخير له والتفاني في البذل له والدفاع عنه، وفي الوقت ذاته يحب أمته الكبرى ويتبادل معها الولاء، ويعيش آمالها وآلامها، ويبذل لها من وسعه ما يستطيع

بل إن الإنسان ربما يعيش حباً وولاءً أضيق من دائرة وطنه فيحب قومه، ويحب رحمه، ويقدم الأقرب فالأقرب منهم وهذا ما أقره الشرع في مثل قوله تعالى ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال 75] وعليه فالإسلام لا يحرم أي رابطة من الروابط الإنسانية ما دامت لا تلغي رابطة الدين ولم تجعل بديلاً منه

فالبدء بحب أولى القرابة وتقديم حقوقهم على غيرهم حق، وكذا حب القبيلة التي انحدر منها وتقديم حقوقهم على غيرهم حق، ثم حب الوطن الذي نشأ فيه وخدمته وتقديم أعلى ما يملك من أجله، ثم حب أمته الواسعة والولاء لها، هي دوائر من المحبة والولاء تتكامل ولا تتضاد أبداً

الأمر الخامس أن من يرى الانفصال عن الأمة تماماً هو سبيل تحقيق الوطنية الكاملة هو في الحقيقة يمكّن لأعداء الأمة ما حرصوا عليه من تقطيع أوصال الأمة حين استعمروها، فإنهم قسموها إلى أوطان صغيرة منفصلة عن بعضها يعمل كل وطنٍ بسياسته الخاصة به بشكل يفصله عن سائر أمته ويبعده عنها، بل جهدوا كذلك إلى إيجاد الخلاف بينهم حتى تشتعل بين الحروب، ومن هنا يحققون هدفهم من إضعاف الأمة وإخضاعها بسهولة يقول الشيخ محمود شاكر عن المستعمرين

«اقتسموا فيما بينهم ما احتلوا، وفرضوا على ما أخذوا استعماراً، واتبعوا فيها سياسة خاصة عرفت بالسياسة الاستعمارية وتفضي هذه السياسة بفصل الأمصار بعضها عن بعض دون الاعتراف برابط يربطها، أو فكر يجمعها أو عقيدة توحدها»[74].

ولهذا فإنه يتعين على كل مسلم وهو يعيش الوطنية القطرية، أن يتذكر رباط العقيدة الذي يربطه بأمته، وبإخوانه المسلمين وأن يعيش معهم عيشة التواد والتراحم والتعاطف فإن المصير واحد، والهدف واحد، والعدو كذلك واحد

الخاتمـــــة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

بعد أن عرضت لمفهوم الوطنية في الفكر الإسلامي من منطلق عقدي فقد توصلت إلى النتائج الآتية

1 أن الوطنية أضحت أمراً واقعاً تتعامل معه كل الشعوب والدول على اختلاف في مدى التعلق به من ناحية، ومدى تفعيل مقتضياته من ناحية أخرى وما دام الأمر على هذا النحو فلا بد من إبداء الرؤية الشرعية العقدية وكذلك الفقهية المتعلقة بهذا المصطلح الفكري السياسي

2 أن في الشريعة الإسلامية من النصوص الشرعية، ومن اجتهادات العلماء المطبقة تحت ما تعارف عليه العلماء شرعاً بالسياسة الشرعية ما يقرر كثيراً مما يتعلق بالوطنية؛ سواء في ذلك الوطنية الشعورية المتمثلة في حب الوطن والحنين إليه والتعلق به، أو المواطنة العملية المتعلقة بالأنظمة والدساتير التي تحكم علاقات المواطنين بوطنهم، وبدولتهم وسلطتهم، وبعلاقة بعضهم ببعض.

3 أن الإسلام وعلماءه ودعاته إنما يرفضون ويردون من الوطنية ما كان مضاداً للدين مما اعتبره الغرب من المواطنة مثل الفصل بين الدين والدولة أو السياسة، ومثل التعلق ببعض الأفكار المتعصبة كالقوميات، ومثل الأنانية المفرطة في حب الوطن وكلها كما سبق أمور لا تجلب للأمة إلا الأضرار والمفاسد.

4 أن الانتماء للوطن لا يتعارض مع الانتماء للأمة الإسلامية، أو للأمة العربية، بل كل هذه دوائر متداخلة ومتوائمة لا فصام بينها إذا أعطى كل منها حقه مما أوجبه عليه الشرع.

وأما أهم التوصيات التي خرج بها وارتآها الباحث فهي

1 ضرورة تربية الأجيال على الشعور بالوطنية، وتطبيق المواطنة الصالحة، وذلك عن طريق تأصيل المفهوم الصحيح للوطنية ومقتضياتها في المناهج الدراسية وكافة المناشط التربوية

2 إسناد صياغة مقررات الوطنية إلى مجموعة متكاملة من ذوي الرأي والخبرة في هذا المجال من فقهاء وعلماء ومفكرين وتربويين.

3 ربط مقررات الوطنية بالوحدة الإسلامية والعربية، حتى لا ينشأ المواطن على القطرية المتعصبة المميتة للشعوب.

4 المحافظة على المفهوم الأصيل للوطنية وصيانته من كل فكر دخيل يشوه صورته، ويميل به إلى ما يفسد الدين والدنيا معاً.

وأخيراً فهذا اجتهاد الباحث، إن حالفه الصواب فمن الله وحده التوفيق والتسديد، وإن كانت الأخرى فمني ومن الشيطان وأستغفر الله أولاً وآخراً

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، ، ،

قائمة الحواشي:

(☐) انظر مثلاً محمد قطب، (1411هـ 1991م)، مذاهب فكرية معاصرة ص 554- 588، ومحمود شاكر (1423هـ 2002م)، الأمة واحدة والقلوب شتى، ص 55.

(☐) انظر ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 147/4.

(☐) زياد الدريس، الوطنية كائن هلامي ص 71- 72 مقالة د وليد النويهض (الوطنية ليست كائناً هلامياً)

.

(☐) انظر زياد الدريس - مرجع سابق، ص 123- 124.

(☐) لابن منظور 451/13.

(☐) لمجد الدين الفيروزآبادي، 1626/2.

(☐) لمحمد التهانوي، 386/4- 387 بتصرف

(☐) زياد الدريس، الوطنية، ص 171، مقالة د عبدالرحمن الزنيدي (الإسلام والوطنية ممتزجان)

(□) زياد، مرجع سابق، ص 171- 172، مقالة د الزنيدي السابقة

(□□) الحقيل، (1417هـ 1996م) ، الوطنية ومتطلباتها في ضوء تعاليم الإسلام، ص 30.

(□□) زياد الدريس، الوطنية ص 55 مقالة د محمد عمارة (الروح الوطنية .)

(□□) هو حسن البنا، مجموعة الرسائل، ص 17- 183.

(□□) يحيى القحطاني، (1419هـ) ، المواطنة أسسها ومقوماتها، ص 20.

(□□) مجلة الجسور، ص 80، العدد الأول 1424هـ، مقالة د محمد العوا

(□□) محمد عمارة، (1416هـ 1995م) ، لإسلام بين التنوير والتزوير، ص 100.

(□□) محمد عمارة، (1992م) ، الإسلام والسياسة، ص 205.

(□□) عمرو الجاحظ، (1412هـ) المحاسن والأضداد، ص 122- 123.

(□□) محمود الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، 349/1.

(□□) الجاحظ عمرو بن بحر، الرسائل، 80/2- 81.

(□□) الجاحظ، المصدر السابق، 81/2.

(□□) الجاحظ، المصدر السابق، 81/2.

(□□) الدريس، الوطنية كائن هلامي، ص 38- 39، مقالة د محمد عمارة السابقة

(□□) الجاحظ، الرسائل، 392/2.

(□□) محمد بن جرير الطبري، (1408هـ 1988م) ، جامع البيان عن تأويل القرآن، 40/11، الجزء 21 من القرآن

(□□) يوسف أبو هلاله، (1408هـ) دعوة الفطرة، ص 45- 52.

(□□) مسلم بن الحجاج (1412هـ 1991م) ، صحيح مسلم، ك الجنة وصفة نعيمها وأهلها، 2197/4، ح 2865.

(□□) يوسف أبو هلاله، دعوة الفطرة، ص55.

(□□) مسلم، صحيح مسلم، ك القدر، 2047/4.

(□□) سيد قطب، في ظلال القرآن، 2767/8.

(□□) انظر سعيد العلوي، (1997م) الوطنية والتحديثية في المغرب، ص 77.

(□□) انظر يوسف القرضاوي، (1422هـ 2001م) ، الأمة الإسلامية حقيقة لا وهم

(□□) انظر العلوي، الوطنية والتحديثية، ص 77.

(□□) زياد الدريس، الوطنية، ص 89، مقالة د محمود سفر (المواطنة انتماء لعقيدة)

(□□) مجلة الجسور، العدد الأول، ص80.

(□□) انظر يوسف القرضاوي، (1419هـ) ، من فقه الدولة في الإسلام، ص 16.

(□□) ابن هشام، (1409هـ 1989م) سيرة ابن هشام، ص 260، 263، 266.

(□□) انظر ابن هشام، سيرة ابن هشام، ص 274- 278.

(□□) انظر محمد سليم العوا، في النظام السياسي في الإسلام، ص 53.

(□□) انظر محمد العوا، المصدر السابق، ص 53وبعدها

(□□) محمد بن إسماعيل البخاري (1414هـ 1994م) صحيح البخاري، ك العمرة، باب من أسرع ناقته إذا بلغ المدينة 248/2، ح1802.

(□□) الحافظ ابن حجر (1407هـ 1986م) ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، 727/3.

(□□) انظر زياد الدريس، الوطنية، مقالة د محمد عمارة، ص 43.

(□□) زين العابدين الركابي، (1426هـ) ، مفهوم الوطنية، ص 36- 39، بتصرف

(□□) انظر بكر أبو زيد، خصائص جزيرة العرب، ص 29، إلى آخر الكتاب

(□□) مسلم، صحيح مسلم، ك الإيمان، 131/1.

(□□) سليمان الحقيل، الوطنية ومتطلباتها، ص 28- 29.

(□□) انظر إمارة المنطقة الشرقية، ندوة الإدارية في الواجب الوطني ورقة د عبدالله العمير 103/1- 104.

(□□) أحمد بن حنبل، (1418هـ 1997م) ، المسند 376/16، ح 1283، وحسَّنه المحققون

(□□) مسلم، صحيح مسلم، ك البر والصلة والآداب 2013/4، ح 105.

(□□) محمد محمد حسين، (1400هـ 1980م) ، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، 69/1.

(□□) انظر أبو الحسن الندوي، (1404هـ 1984م) ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص 161.

(□□) الندوي، المرجع السابق، ص 163.

(□□) انظر محمد قطب، مذاهب فكرية معاصرة ص 555- 556.

(□□) محمد قطب، المرجع السابق، ص 561- 564.

(□□) انظر الندوي، ماذا خسر العالم .، ص 161.

(□□) انظر الندوي، المرجع السابق، ص 200- 201.

(□□) انظر محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، ص 68/1- 69.

(□□) انظر محمد حسين، المرجع السابق، 201/1.

(□□) انظر محمد حسين، المرجع السابق، 69/1.

(□□) انظر محمد قطب، مذاهب فكرية معاصرة، ص 577- 580.

(□□) محمد حسين، الاتجاهات الوطنية ص 82.

(□□) محمد حسين، المرجع السابق، ص 82.

(□□) الشيخ محمد عبده، الديوان ص 37، نقله عنه محمد حسين، الاتجاهات الوطنية ص 74.

(□□) يوسف القرضاوي، من فقه الدولة في الإسلام، ص 13.

(□□) انظر القرضاوي، المرجع السابق، ص 15- 16.

(□□) انظر القرضاوي، المرجع السابق، ص 16- 17.

(□□) ابن تيمية، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ص176.

(□□) منها مثلاً أحكام أهل الذمة، لابن القيم رحمه الله

(□□) انظر عبدالرحمن الميداني، كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، ص 259.

(□□) يوسف القرضاوي، الأمة الإسلامية حقيقة لا وهم، ص 29.

(□□) أبو داود سليمان بن الأشعث - سنن أبي داود، ك الأدب، باب في العصبية، 332/4، ح5121.

(□□) رواه اللالكائي - الحسن بن هبة الله - شرح أصول اعتقاد أهل السنة، 99/1، ح 144، وأخرجه الهيثمي ابن حجر في مجمع الزوائد، 218/5، وذكر أن الطبراني اخرجه باسنادين أحدهما رجاله ثقات

(□□) القرضاوي، الصحوة الإسلامية ص 106.

(□□) محمود شاكر، الأمة الإسلامية والقلوب شتى، ص 54.